

## تقديم مركز نهوض للدراسات والنشر

«التفكير السياسي»، و«النظرية السياسية»، و«المجتمع المدني»؛ ثلاثة عناصر لا تشكّل فقط عنوان الكتاب؛ بل هي أيضاً تختصره وتوجز مختلف أبعاده. ذلك لأن أهم ما يمتاز به هذا المؤلف الضخم الذي سطره ستيفين ديلو وتيموثي ديل، عن غيره من الكتب المتخصصة في عرض النظريات السياسية، هو أنه لا يقتصر على العرض التاريخي أو المضموني لتلك النظريات؛ بل يضعها دائماً في مواجهة الإشكاليات السياسية والمجتمعية الراهنة. ومن هنا كان عنصر «التفكير السياسي» أول عنصر في عنوان هذا الكتاب؛ إذ إن الهدف الرئيس من هذا السفر هو تحريك التفكير السياسي، وتحفيزه ليفكر في مشكلاته السياسية من أجل ابتداع حلول أفضل.

غير أن هذا التفكير لا ينبغي أن يكون عفويًا ودون أي سند من الحكمة السياسية التي أثمرها فلاسفة السياسة ومنظروها خلال تاريخ الحضارة الإنسانية؛ لذا كان من الضروري استدعاء النظرية السياسية والاستهداء بها خلال التفكير السياسي.

غير أن النظرية السياسية ليست مفردة؛ بل هي تعبير دالّ على جمع هائل من التصورات والمذاهب والاتجاهات، وبالفعل حرص المؤلفان في كتابهما هذا على استحضار النظريات السياسية بكل ثرائها وتعددها وتنوعها. حيث تجد إيرادًا لنظريات أفلاطون وأرسطو وأوغسطين وشيشرون وتوما الإكويني، والفارابي وابن سينا وابن رشد، ومكيافيلي وتوماس هوبز وجون جاك روسو، وكانط وهيغل وجون ستيوارت مل وجون رولز...؛ أي إن في هذا الكتاب مسحًا تاريخيًا لتطور الفكر السياسي بدءًا من اليونان حتى لحظتنا المعاصرة.

وميزة الكتاب هي أنه لا يستحضر تلك النظريات استحضارًا وصفيًا باردًا؛ بل يجعلك مشاركًا فيها ومفكرًا بها أيضًا؛ وبذلك يستحقُّ هذا المؤلف الوصف الذي نعته به كاتبه، أي: «دعوة القراء إلى المشاركة في مناقشة امتدَّت لآلاف السنين، لكنها برغم ذلك تتحدَّنا لنفكر في عصرنا، وفي القضايا الملحة التي نواجهها في سياستنا ومجتمعنا».

لكن قد يتساءل القارئ: هل بالفعل تستطيع النظريات السياسية القديمة أن تسهم بفائدة في إشكالياتنا الراهنة، التي هي إشكالياتٌ جديدة ناتجة عن تحولاتٍ وتغيراتٍ جوهرية في بنية المجتمع؟  
أليس الفكر السياسي من أكثر الأفكار ارتباطًا بطبيعة الواقع الذي نشأ فيه؟

إذن، ما قيمة النظرية السياسية الأفلاطونية أو الأرسطية مثلًا لواقعنا اليوم الذي هو - بلا شك - مغاير لواقع أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد؟  
هذا سؤال لم يغب عن بال المؤلفين؛ لذا سنجد إجابةً ضمنيةً له في قولهما إن الأسئلة السياسية الكبرى أسئلةٌ خالدة، بمعنى أن الأسئلة التي فُكر فيها أفلاطون أو أرسطو ليست - في الجوهر - مختلفةً عن الأسئلة التي نفكر فيها نحن في القرن الحادي والعشرين.

فسؤال ما معنى العدالة؟ الذي كان سؤالًا مركزيًا في محاوره «الجمهورية» لأفلاطون، ما زال سؤالًا حيًا، وسيبقى أيضًا مستفزًا للتفكير السياسي من أجل مزيدٍ تحديدٍ وتعريفٍ وتقعيدٍ.

لكن قد يرى القارئ أن هذا الردُّ ليس جوابًا دقيقًا عن السؤال؛ لأن استحضار النظريات السياسية القديمة ليس فقط مجرد إيرادٍ للأسئلة التي حرَّكتها؛ بل استحضار أجوبتها أيضًا. ثم إن النظريات السياسية هي في الأساس أجوبةٌ، فما قيمتها بالنسبة إلى أوضاع مجتمع إن كانت أسئلته مشابهةً للأسئلة السياسية الخالدة (ما العدالة؟ ما الخير؟ ما الاستبداد؟...)، فإنه يحتاج إلى أجوبةٍ جديدةٍ مناسبة له؟

لا بدَّ أن نسارع هنا إلى الإشارة إلى أهم ما يمتاز به هذا الكتاب، وهو حرصه على التركيز على خصوصية الواقع المجتمعي المعاصر؛ بل لقد

مَحَوَّرَ مختلف تحليلاته على مفهوم مركزيٍّ من مفاهيم الاجتماع السياسي الحديث، ألا وهو مفهوم «المجتمع المدني»؛ فكانت دراسته للنظريات السياسية - حتى القديمة منها - تتمُّ من خلال استحضار فكرة المجتمع المدني وإشكالاته .

وهنا نصل إلى إدراك سبب إدراج عبارة «المجتمع المدني» في عنوان الكتاب . فهو ليس مجرد ذكرٍ لأحد موضوعات النظريات السياسية المعاصرة؛ بل هو مكونٌ جوهريٌّ في هذا الكتاب، تُختبر به النظريات السياسية قديمها وحديثها على حدٍّ سواء؛ حيث اختار ستيفين ديلو وتيموثي ديل أن يجعلوا من قضية المجتمع المدني زاويةَ الرؤيةِ إلى النظرية السياسية، والمنظار الذي تُقرأ وتُحلَّل من خلاله .

غير أن ثمة خاصيةً أخرى يمتاز به هذا الكتاب على مستوى المنهج، وهي أنه لا يكتفي بعرض النظريات السياسية، ولا بتلخيصها وإيجاز مبادئها وأطاريحها؛ بل لقد اعتمد المؤلفان طريقةً منهجيةً متميزةً في العرض، وهي استنطاق تلك النظريات، وجعلها تفكّر معنا من جديدٍ وفق مستجدات واقعنا؛ حتى إننا نكاد نشعر وكأن أفلاطون يحاورنا ويشاركنا في محاولة إدراك واقعنا المجتمعي؛ للاهتمام إلى بلورة حلولٍ مناسبة لمشكلاتنا نحن .

وهنا نفهم سبب أولوية تعبير «التفكير السياسي» في عنوان الكتاب؛ حيث لا يقصد المؤلفان الاقتصار على سرد النظريات السياسية، ولا التفكير فيها فقط؛ بل التفكير بها أيضًا .

وتلك في تقديرنا من أهم ميزات هذا المؤلف الفريد، الذي نتمنى أن تكون ترجمته رافدًا من روافد تجويد التفكير السياسي في واقعنا العربي المعاصر .